

تفسير السعدي

@ 462 @ الانقياد له . ^ (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا * قال أرايتك ه ذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا * قال اذهب فممن تبعك منهم فإن جهنم جزأؤكم جزاء موفورا * واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخیلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا * إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكیلا) ^ ينبه تبارك وتعالى عباده على شدة عداوة الشيطان ، وحرصه على إضلالهم ، وأنه لما خلق آدم ، استكبر عن السجود له ، و ^ (قال) ^ متكبرا : ! 2 2 ! أي : من طين ، وبزعمه ، أنه خير منه ، لأنه خلق من نار . وقد تقدم فساد هذا القياس الباطل من عدة أوجه . فلما تبين لإبليس تفضيل آدم ^ (قال) ^ مخاطبا : ! 2 2 ! أي : لأستأصلنهم بالإضلال ، ولأغوينهم ! 2 ! عرف الخبيث ، أنه لا بد أن يكون منهم من يعاديه ، ويعصيه . فقال : ! 2 ! واختارك على ربه وليه الحق . ! 2 2 ! أي : مدخرا لكم ، موفرا جزاء أعمالكم . ثم أمره أن يفعل كل ما يقدر عليه من إضلالهم فقال : ! 2 2 ! ويدخل في هذا كل داع إلى المعصية . ! 2 2 ! ويدخل فيه كل راكب وماش في معصية الله ، فهو من خيل الشيطان ورجله . والمقصود أن الله ابتلى العباد بهذا العدو المبين ، الداعي لهم إلى معصية الله ، بأقواله وأفعاله . ! 2 2 ! وذلك شامل لكل معصية ، تعلقت بأموالهم وأولادهم ، من منع الزكاة والكفارات ، والحقوق الواجبة وعدم تأديب الأولاد ، وتربيتهم على الخير ، وترك الشر ، وأخذ الأموال بغير حقها ، أو وضعها بغير حقها ، أو استعمال المكاسب الردية . بل ذكر كثير من المفسرين ، أنه يدخل في مشاركة الشيطان في الأموال والأولاد ، ترك التسمية عند الطعام والشراب والجماع . وأنه إذا لم يسم الله في ذلك ، شارك فيه الشيطان ، كما ورد فيه الحديث . ^ (وعدهم) ^ الوعود المزخرفة التي لا حقيقة لها ، ولهذا قال : ! 2 2 ! أي : باطلا مضمحلا ، كأن يزين لهم المعاصي والعقائد الفاسدة ، ويعددهم عليها الأجر ، لأنهم يظنون أنهم على الحق . وقال تعالى : ! 2 2 ! . ولما أخبر عما يريد الشيطان أن يفعل بالعباد ، وذكر ما يعتصم به من فتنته ، وهو عبودية الله ، والقيام بالإيمان والتوكل قال : ! 2 2 ! أي : تسلط وإغواء ، بل الله يدفع عنهم بقيامهم بعبوديته كل شر ، ويحفظهم من الشيطان الرجيم ، ويقوم بكفائتهم . ! 2 2 ! لمن توكل عليه ، وأدى ما أمر به . ! 2 2 ! يذكر تعالى : نعمته على العباد ، بما سخر لهم من الفلك ، والسفن ، والمراكب ، وألهمهم كيفية صنعها ، وسخر لها البحر الملتطم ، يحملها على ظهره ، لينتفع العباد بها في الركوب

والحمل للأمتعة ، والتجارة . وهذا من رحمته بعباده ، فإنه لم يزل بهم رحيمًا رؤوفًا ،
يؤتيهم من كل ما تعلقت به إرادتهم ومنافعهم . ومن رحمته الدالة على أنه وحده المعبود ،
دون ما سواه ، أنهم إذا مسهم الضر في البحر ، فخافوا من الهلاك ، لتراكم الأمواج ، ضل
عنهم ما كانوا يدعون من دون الله ، في حال الرخاء من الأحياء ، والأموات ، فكأنهم لم
يكونوا يدعونهم في وقت من الأوقات لعلمهم أنهم ضعفاء ، عاجزون عن كشف الضر ، وصرخوا
بدعوة فاطر الأرض والسموات الذي يستغيث به في شدائدها ، جميع المخلوقات ، وأخلصوا له
الدعاء والتضرع في هذه الحال . فلما كشف الله عنهم الضر ،